الاخفياء وطريق الوصول اليهم

الشيخ ابراهيم بن عبد الله الدويش حفظه الله

الأخفياء في كلمات

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: ما رأيت أحداً ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة.

إذاً فالقضية ليست قضية كثرة صيام ولا صلاة، وإنما بالإخلاص والإخفاء في هذه الأعمال.

وقال ابن وهب: ما رأيت أحداً أشد استخفاء بعمله من حيوة بن شريح، وكان يعرف بالإجابة، أي: بإجابة الدعاء.

وقال يوسف بن حسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر.

واسمع لقوله رحمه الله: وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فالاجتهاد في البعد عن الرياء والتسميع وطلب محمدة الناس وثنائهم أمر كانوا يعانون منه رحمهم الله تعالى.

وقال ابن القيم: أنفع العمل أن تغيب فيه عن الناس بالإخلاص، وعن نفسك بشهود المنة، فلا ترى فيه نفسك ولا ترى الخلق.

وقال الأخفياء رحمهم الله تعالى وصاحوا بملء أفواههم لمن لا يخلص نيته ولمن غفل عن هذا الأمر، صاحوا بقولهم كما يقول مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقاً لا يتعنى.

فقولوا -أيها الأحبة- لمن لم يكن صادقاً بعمله ومخلصاً لعمله لله سبحانه وتعالى لا يتعنى، لا يتعب نفسه، فقد رأيتم وسمعتم أولئك الثلاثة وتلك الطاعات العظيمة التي أصبحت وبالاً على أصحابها فكانوا أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة -والعياذ بالله-، فقولوا ورددوا وصيحوا بأعلى أصواتكم لمن لم يكن صادقاً في عمله وفي دعوته وفي أفعاله كلها لا يتعنى، لا يتعب نفسه!

الطريق الموصل إلى حياة الأخفياء

ما هو الطريق للوصول إلى حياة الأخفياء؟! ما هو العلاج؟! والوصول لطريق الأخفياء رحمهم الله تعالى ألخصه بالنقاط التالية:

الدعاء والإلحاح فيه

مواصلة الدعاء وتحري ساعات الإجابة، وأهمه الاستمرار في الدعاء، والإلحاح فيه، لا تملّ ولا تكلّ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم وعلمنا في الحديث الذي يذهب عنا كبار الشرك وصغاره عندما قال: (الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره، تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم) احفظ هذا الدعاء وكرره كثيراً، واسأل الله بصدق أن يرزقك الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال.

الإكثار من مصاحبة المخلصين الناصحين الصادقين

إن وجدت عليهم في هذا الزمن فعض عليهم بالنواجذ، وإن لم تجد فالجأ لحياة الأخفياء، والجأ لمصاحبة المخلصين من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، بقراءة أقوالهم والنظر في الكتب والتراجم، للاطلاع على تلك الأحوال، ولا شك أن القلب فيه حياة بالنظر لحياة أولئك.

معرفة عظمة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته

اعرف من تعبد، ولمن تعمل، وعظمة الله جل وعلا، واملأ قلبك بتوحيد الأسماء الصفات تطبيقاً عملياً حتى تعظم الله، وقديماً قالوا: (من كان بالله أعرف كان لله أخوف) ومن عظم الناس خاف من الناس وعمل للناس وسمع للناس وطلب ثناء الناس ومحمدة الناس، ولكن الله هو الذي سيجازيك وهو الذي يحاسبك.

الحرص على خبء من عمل صالح

احرص دائماً أن يكون لك سر بينك وبين الله جل وعلا، لا يعلمه أحد من الناس، إن استطعت حتى ولا زوجك! إن استطعت أن تفعل عملاً بينك وبين الله لا يعلم عنه أقرب الأقربين إليك، فلا شك أن هذه الأعمال هي المنجية يوم تسود وجوه وتبيض وجوه.

الخوف من عدم قبول العمل

دائماً كن خائفاً على عملك أن لا يقبل، وأن يخالط هذا العمل رياءٌ أو سمعةٌ، مع الانتباه لذلك التنبيه المهم الذي أشرنا إليه أثناء الموضوع، وقد تقدم الكلام عن ذلك، وأخشى أن تقدم على الله تعالى بتلك الأعمال الكثيرة والأقوال الكثيرة

فتكون ممن قال الله عز وجل فيهم: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} [الفرقان:٢٣] ، عافانا الله وإياك من حال أولئك.

تذكر ثمرات الإخلاص

تذكر هذه الثمرات، وحلاوة القلب، وحب أهل السماء للمخلص، ووضع القبول له في الأرض، ومحبة الناس له، وطمأنينة القلب، وحسن الخاتمة، واستجابة دعائه، والنعيم له في القبر وفي الآخرة.